

(خطب وعظيه ٦) إعداد فضيلة الشيخ د. فهد بن عبدالله آل طالب

(نوح عليه السلام .. الدعوة إلى التوحيد وشيء من فضائله)

عباد الله/ في قَصَصِ الأنبياءِ وسيرهم معالمٌ يهتدي بها السائرون، أولئك أقوامٌ اختارهم الله واصطفاهم على العالمين، (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، أَمَرَ اللهُ نبيّه أن يقتديَ بإخوانه الأنبياءِ فقال: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، وَأَمَرَنَا اللهُ أن نقتديَ بنبينا فقال: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، إنه موكبُ النور، إنه موكبُ الأنبياءِ.

عباد الله/ أولُ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرضِ هو نوحٌ عليه السلام، كان الناسُ قبله على الإسلام قرونا ما بينه وبين آدمَ عليه السلام، كلُّهم على التوحيد، فوقَعَ الشركُ في قومِ نوح، وكان أولُ ذلك أن ماتَ قومٌ صالحونَ في قومِ نوح فأوحى الشيطانُ إلى قومهم، أنِ انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسونَ فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلكَ أولئك ونُسيخَ العلمُ عُبدتْ، كما رواه البخاريُّ في صحيحه عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، فَبَعَثَ اللهُ داعيةَ التوحيدِ نوحًا عليه السلامُ إلى قومِهِ، يُنذِرُهُم ويحذِرُهُم، وَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وهو يدعوهم إلى الله، وما آمنَ معه إلا قليلٌ .. قال رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خسارًا * ومكروا مكرا كبيرا * وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا * وقد أضلوا كثيرا) أَضَلُّوا بهذه الأصنام خَلَقًا كثيرًا، وامتدَّ ذلك فيما بعدهم من الزمان، حتى قال الخليل عليه السلام: (واجبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس).

عباد الله/ أعظمُ ما يُدعى الناسُ إليه وأولُ ذلك وأولاه: توحيدُ الله عز وجل وإفراذه بالعبادة، هذا نوحٌ عليه السلام يقولُ لقومه: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وهكذا دعوةُ الأنبياءِ أجمعين: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)، (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)، أقام

نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وهو يدعو إلى التوحيد، ولم يذكر الله تعالى في القرآن شيئا من دعوته غير التوحيد، فهي أساس كل دعوة، لم يزل يُبدى فيها ويعيد. التوحيد رأس المال وإذا سلّم رأس المال جاءت الأرباح، ومن مات لا يُشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئا دخل النار، ولو عمِل ما عمِل، (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) .. فضائل التوحيد وثمراته في الدنيا والآخرة كثيرة جاءت بها الآيات والأحاديث.

(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .. صاحب التوحيد الخالص يغفر الله له الذنوب والسيئات، في الحديث: (يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشركُ بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"؟!) وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله سيخلفُ رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشُرُ له تسعةً وتسعين سجلا من الذنوب، كلُّ سجلٍ منها مدّ البصر، فيقولُ له الله تعالى: هل ظلمك كتبتني الحافظون؟ فيقول العبد: لا يا رب ، فيقول الله: هل لك من عذر؟ فيقول العبد: لا يا رب، فيقول الله: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلمَ اليوم، فُتُحضرُ بطاقةً فيها: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) فيقول العبد: وما تفعلُ هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فتوضع البطاقة في كفة، وسجلاتُ الذنوبِ كُلُّها في كفة، فتطيشُ السجلاتُ وتُنقلُ البطاقة، ولا يُنقلُ مع اسم الله تعالى شيء" .. (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحُ منه، وأن الجنة حقٌ وأن النارَ حقٌ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)، (فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله) .. وفي الحديث: "أسعدُ الناسِ بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه" .. اللهم اجعلنا من أهل التوحيد الخالص، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..

الحمد لله / حقّ على كل مسلمٍ أن يتعلّم مسائل التوحيد، وأن يتدارس ذلك مع أولاده، وأن يحمّد الله على نعمة الهداية إلى التوحيد، فإنها أعظم نعمة .. حقّ على من أكرمه الله فجعله من المؤمنين الموحدين، أن يحذر كلّ الحذر من أن يُنتقص توحيدُه، أو أن يُسلب منه على حين غفلةٍ منه، فهذا إمام الموحدين، الذي { كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } يخافُ على نفسه الشرك { وَاجْتُنِبِي وَبَيْتِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } فمن يأمنُ البلاءَ بعد إبراهيم؟! يجب أن تكون العقيدة هي الميزان للأشخاص والجماعات، وأن لا ينخدع الإنسان بدعاة الضلال في القنوات الفضائية وغيرها، من الصوفية والرافضة وغيرهم، وإن كان مظهرهم طيباً ومنطقهم حسناً، إذا كانت عقائدهم فاسدة .. على كلّ واحدٍ نصرته التوحيد بكل ما يستطيع، بنصرة أهله والدعاة إليه، بكفالة داعية إلى التوحيد، بطباعة الكتب والرسائل أو توزيعها، بدعم المواقع التي تُعنى بنشر التوحيد، وانظر كيف حرص أهل الضلال على نشر باطلهم، أفيكون أهل الإسلام - وهم على الحق - أعجز عن نصرته الحق؟! (والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم) لفظ أبي داود